

تفسير البحر المحيط

@ 451 الأيكة اسم الناحية ، فيكون علماً . ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص :

ليكة ممنوع الصرف . كفروا فسلط الله عليهم الحر ، وأهلكوا بعذاب الظلة . ويأتي ذلك مستوفى إن شاء الله تعالى في سورة الشعراء . وإن عند البصريين هي لمخففة من الثقيلة ، وعند الفراء نافية ، واللام بمعنى ألا . وتقدم نظير ذلك في : { وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً } في البقرة . والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في وأنهما عائد على قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب . أي : على أنهما ممر السائلة . وقيل : يعود على شعيب ولوط أي : وإنهما لبإمام مبين ، أي بطريق من الحق واضح ، والإمام الطريق . وقيل : وإنهما أي : الحر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة ، لفي مكتوب مبين أي : اللوح المحفوظ . قال مؤرج : والإمام الكتاب بلغة حمير . وقيل : يعود على أصحاب الأيكة ومدين ، لأنه مرسل إليهما ، فدل ذكر أحدهما على الآخر ، فعاد الضمير إليهما . .

{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ * فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْذِرُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُلْوَتْ * ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَسَاكِنُ وَكَانُوا يَكْسِبُونَ } : أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام ، والحجر أرض بين الحجاز والشام ، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة . والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً ، لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً . قال الزمخشري : أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل : الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه . وعن جابر قال : مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الحجر فقال لنا : { لَا تَدْخُلُوهَا * مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ * إِلَّا أَنْ * تَكُونُوا * حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْ تُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ } ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم) راحلته فأسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه ثم قال : { هَؤُلَاءِ قَوْمٌ * صَالِحٌ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا * وَهُمْ * مُشْرِكُونَ * فَأَلَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ * } قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : (أبو رغال) وإليه تنسب ثقيف . .

وأتيناهم آياتنا قيل : أنزل إليهم آيات من كتاب الله ، وقيل : يراد نصب الأدلة فأعرضوا عنها . وقيل : كان في الناقة آيات خمس . خروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها ، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً . وقيل : كانت له آيات غير

الناقة . وقرأ الجمهور : ينجثون بكسر الخاء . وقرأ الحسن ، وأبو حنيفة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها ، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في الحجارة . وآمنين ، قيل : من الانهدام . وقيل : من حوادث الدنيا . وقيل : من الموت لاغترارهم بطول الأعمار . وقيل : من نقب اللصوص ، ومن الأعداء . وقيل : من عذاب الله ، يحسبون أنهم الجبال تحميمهم منه . قال ابن عطية : وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة ، فكانوا لا يعملون بحسبها ، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها . ومصبحين : داخلين في الصباح . والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ، وتحتل الاستفهام المراد منه التعجب . وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية ، والظاهر أنها بمعنى الذي ، والضمير محذوف أي : يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد ، بل خروا جاثمين هلكى { وَمَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا السَّامَآتِ وَالْأَرْضَ * وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا لَآلَءَ بِرَالْحَقِّ وَإِنْ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغِ الصَّغِيْرَ الْجَمِيْلَ * السَّامَآتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا لَآلَءَ بِرَالْحَقِّ وَإِنْ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغِ الصَّغِيْرَ الْجَمِيْلَ * إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْخَسَّافُ الْعَلِيْمُ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيْمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِمْ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْعُلَمَاءِ مَذِيْنًا * وَقُلْ إِنِّي أَنَا الذِّيرُ الْمُبِيْنُ * كَمَا أَنزَلْنَاهُ عَلَى الْمُقْتَسِمِيْنَ * الذِّبْنَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عَرْضِيْنَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّآ كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ * الذِّبْنَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّا كَذَبْتَ وَإِنَّا لَمَّا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِيْنَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ تَبْيَٰكَ الْيَقِيْنُ } : إلا بالحق أي : خلقا ملتبسا بالحق . لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا ، بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم ، وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى . ولذلك نبه من يتنبه بقوله : وأن الساعة آتية ، فيجازي من أطاع ومن عصي . ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم (بالصفح